Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, Yıl: 17, Sayı 28, Temmuz–Aralık 2012

خبر صحيفة مقاطعة قريش بني هاشم
تحليل ونقد

إعداد: د. علي صالح مصطفى*

ملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة خبر صحيفة المقاطعة التي اتفقت عليها قبائل قريش عقابا لبني هاشم بسبب رفضهم تسليم محمد صلى الله عليه وسلم للقتل، واشتملت الدراسة على تخريج روايات القصة وتحليلها والمقارنة بينها وبيان درجتها من حيث القبول والرد، ثم الوقوف على أهم النقاط المستفادة منها.

مقدمة: هذه دراسة تبحث في خبر صحيفة المقاطعة التي وقعها كفار قريش من أجل إجبار بني هاشم على تسليم - محمد صلى الله عليه وسلم - لقتله .

ويهدف البحث إلى تخريج الروايات الواردة في الحدث ، وتحليلها بمقارنتها وتسجيل أهم الاختلافات بينها ، ثم نقد هذه الروايات للوصول إلى درجتها من حيث القبول والرد ، ثم الوقوف على أهم العبر المستفادة منها.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة:

أما المقدمة : فقد عرّفت فيها بموضوع البحث ، وخطتي فيه .

المطلب الأول : سياق خبر صحيفة المقاطعة برواية عروة بن الزبير وابن إسحاق.

المطلب الثاني : مقارنة روايات خبر صحيفة المقاطعة .

المطلب الثالث : نقد روايات خبر صحيفة المقاطعة .

المطلب الرابع : عبر وبصائر مستفادة من خبر المقاطعة .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

وقد سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والمقارنة والاستنباط ؛ لاستخراج النتائج من النصوص المبثوثة هنا وهناك في كتب الحديث والسيرة ، ولم أقف على بحث مستقل اعتنى بدراسة خبر صحيفة المقاطعة ، لكنني أفدت من بعض الدراسات التي تناولتها باقتضاب ، وهي :

السيرة النبوية الصحيحة ؛ محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، الدكتور أكرم ضياء العمري .

صحيح السيرة النبوية ؛ مؤلف جامع للسيرة النبوية المشرفة مرتب حسب الوقائع والأحداث اقتصر فيه

*كلية الإلهيات، جامعة حران
شانلي أورفة، تركيا Harran Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Öğretim Üyesi

مؤلفه على الأحاديث الصحيحة ، إبراهيم العلي .

وقد قدمت رؤية نقدية تتفق وتختلف عن الذي قدمه الكاتبان وناقشت ما يحتاج إلى نقاش في ثنايا هذا البحث.

المطلب الأول: خبر صحيفة المقاطعة برواية عروة بن الزبير وابن إسحاق

ورد خبر صحيفة المقاطعة في أكثر من رواية ، وقد اخترت رواية عروة ؛ لأني وجدتها أتم سياقاً ، أما رواية ابن إسحاق ففيها تفصيل أكثر في كيفية انتهائها .

أولاً : رواية عروة

قال أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة[1] :" حدثنا سليمان بن أحمد قال : ثنا محمد بن عمرو ابن خالد الحراني قال : ثنا أبي قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لما أقبل عمرو بن العاص من الحبشة من عند النجاشي إلى مكة قد أهلك الله صاحبه ومنعه حاجته، اشتد المشركون على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء ، وعمد المشركون من قريش فأجمعوا مكرهم وأمرهم على أن يقتلوا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ علانية ، فلما رأى ذلك أبو طالب جمع بني عبد المطلب ، فأجمع لهم أمرهم على أن يدخلوا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله ، فاجتمعوا على ذلك كافرهم ومسلمهم ، منهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا ، فلما عرفت قريش أن القوم قد اجتمعوا ومنعوا الرسول واجتمعوا على ذلك كافرهم ومسلمهم ، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم على أن لا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ للقتل ، وكتبوا بمكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق أن لا يقبلوا من بني هاشم أبدا صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة ولا هوادة حتى يسلموا رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ للقتل .

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم فيهن البلاء والجهد ، وقطعوا عليهم الأسواق : فلا يتركون طعاما يدنو من مكة ولا بيعا إلا بادروا إليه ؛ ليقتلهم الجوع ؛ يريدون أن يتناولوا بذلك سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فأتى فراشه ؛ حتى يراه من أراد به مكرا أو غائلة ؛ فإذا نوم الناس أخذ أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها.

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ورجال من بني قصي ورجال ممن سواهم ، وذكروا الذي وقعوا فيه من القطيعة ؛ فأجمعوا أمرهم في ليلتهم على نقض ما تعاقدوا عليه والبراءة منه ، فبعث الله _ عز وجل _ على صحيفتهم التي فيها المكر برسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ الأرضة ، فلحست كل شيء كان فيها ، وكانت معلقة في سقف الكعبة ، وكان فيها عهد الله وميثاقه ، فلم تترك فيها شيئا إلا لحسته وبقي فيها ما كان من شرك أو ظلم أو بغي ، فأطلع الله _ تعالى _ رسوله على الذي صنع بالصحيفة ، فذكر ذلك لعمه ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبني ، فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم أتوا بجماعة أنكروا ذلك ، فظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، وأتوهم ليعطوهم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم ؛ فلعله أن يكون بيننا بينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فبادر اللعين أن يأتيهم بحديث رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ الذي أخبره الله به ، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن الرسول مدفوع إليهم ، فوضعوها

---

[1] أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط1، 1409هـ. (399/1) .

بينهم وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا أو ترجعوا إلى أمر يجمع عامتكم ويجمع قومكم ، ولا يقطع بيننا وبينكم إلا رجل واحد قد جعلتموه خطرا لعشيرتكم وفسادكم ، قال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا فيه نصف بيني وبينكم ، هذه الصحيفة التي في أيديكم ، إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله _عز وجل _ بعث عليها دابة ، فلم تترك فيها اسما لله إلا لحسته ، وترك فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا ، فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : لقد رضينا بالذي تقول ، وفتحت الصحيفة، فوجدوا الصادق المصدوق قد أخبر خبرها قبل أن تفتح ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله ما كان هذا إلا سحرا من صاحبكم ، فارتكسوا وعادوا لشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ وأصحابه ورهطه ، والقيام على ما تعاقدوا عليه .

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن الأولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون ؟ فإنا نعلم أن الذي أجمعتم عليه من قطيعتنا أقرب للجبت والسحر ، ولولا الذي أجمعتم فيها من السحر لم تفسد الصحيفة وهي في أيديكم ، فما كان لله _عز وجل _ من اسم هو فيها طمسه، وما كان من بغي تركه في صحيفتكم ، أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فندم المشركون من قريش عند ذلك ، وقال رجال منهم أبو البختري وهو العاص بن هشام بن الحارث بن عبد العزى بن قصي، ومنهم المطعم بن عدي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي وكانت الصحيفة عنده ، وزهير ابن أمية ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي في رجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم كانوا قد ندموا على الذي صنعوا فقالوا : نحن براء من هذه الصحيفة ، قال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل" .

ثانياً : رواية ابن إسحاق

وقال أبو نعيم[2] : " قال محمد بن إسحاق : فلما اجتمعت قريش على ذلك ، أقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا ، حتى جهدوا ألا يصل إليهم إلا شيء مستخف به من أراد صلتهم من قريش ، وقد كان أبو جهل _ فيما يذكرون _ لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله _صلى الله عليه وسلم _معه في الشعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاء أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد فقال : ما لك وله ؟ قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البختري : طعام كان لعمته عنده فبعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فاحتمل أبو البختري لحي جمل فضربه فشجه ووطئه وطئا شديدا ، وحمزة بن عبد المطلب قد يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ وأصحابه ، فيشمتوا بهم، ورسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ مع ذلك يدعو قومه إلى الله _عز وجل _ ليلا ونهارا سرا وجهارا، لا يتقي فيه أحدا من الناس .

قال محمد بن إسحاق : ثم إنه قام في نقض الصحيفة _ التي كاتبت فيها قريش على بني هاشم وعلى بني المطلب _ نفر من قريش ، ولم يبل فيها أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث ابن حبيب بن نصر بن مالك بن خثيل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي ؛ لأنه كان نضلة وعمرو أخوين لأم ؛ فكان هشام لبني هاشم واصلا ، وكان ذا شرف في قومه ، وكان فيما بلغني يأتي بالبعير قد أوقر طعاما _ وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب _ ليلا ، حتى إذا أقبله فم الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، فيأتي به قد أوقره بزا فيفعل به مثل ذلك ، ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير قد رضيت بأن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إني أحلف بالله لو كان أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل الذي دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا ، قال : ويحك يا هشام فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا قال :

---

[2] أبو نعيم، دلائل النبوة (239/1) .

من هو ؟ قال : أنا : قال زهير : ابغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش ؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا ، قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا ، قال : قد فعلت قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : ابغنا رابعا ، قال : فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي ، قال : هل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا ، قال : ابغنا خامسا ، قال : فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم ، قال : فهل على هذا الأمر الذي تدعو إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتعدوا حطم الحجون ليلا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة له ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ، قال زمعة : أنت والله أكذب ، ما رضينا حين كتبت ، قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، قال المطعم ابن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله تعالى مما كتب فيها ، قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب في ناحية المسجد ، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون" .

المطلب الثاني: مقارنة روايات خبر صحيفة المقاطعة

وقفت على ثماني روايات مرسلة لخبر صحيفة المقاطعة ، ورواية عن ابن عباس ، وهي مرسلة أيضاً ؛ لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين[3] .

أما الروايات المرسلة فهي :

مرسل عروة بن الزبير ، أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ، وهو الذي ذكرته كاملاً في المطلب الأول ، وقد اخترت سرد سياقه كاملاً لأمرين :

الأول : لأنه أتم سياقاً من غيره .

الثاني : لأنه شيخ رواة المغازي وإسناده عال يروي عن الصحابة غالباً .

مرسل أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن يتيم عروة ، أخرجه ابن عبد البر[4] ، ويرويه مرّة عن شيخه عروة أيضاً[5] .

مرسل الزهري ، أخرجه ابن عبد البر في الدرر[6] ، والبيهقي في دلائل النبوة[7] ، وأخرجه ابن سعد[8] من

---

3 انظر، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عادل مرشد، دار الأعلام، عمان،ط1، 1423هـ، 2002م،(13/1).

4 انظر، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة (99/1) .

5 انظر، أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة (239/1) .

6 انظر، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (99/1)

7 انظر، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1405هـ، 1985م، (190/2) .

8 انظر، ابن سعد، أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان

رواية الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام .

مرسل موسى بن عقبة ، أخرجه البيهقي[9] ، ويلاحظ أنه يرويه مرّة عن شيخه الزهري أيضاً[10] .

مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ، أخرجه ابن سعد[11] .

مرسل عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه ، أخرجه ابن سعد[12] .

مرسل عكرمة ، ومحمد بن علي ، وشيخ من قريش كانت الصحيفة عند جده ، مختصراً مقتصراً على ذكر أكل الأرضة كل شيء في الصحيفة إلا سبحانك اللهم ، أخرجها ابن سعد[13] .

مرسل ابن إسحاق ، وفيه مزيد تفصيل لحادثة انتهاء المقاطعة ، ذكره أبو نعيم[14] ، وابن هشام[15]، وغيرهما .

وأما رواية ابن عباس فهي تؤرخ موقف أبي لهب من المقاطعة ، أخرجها أبو نعيم في الدلائل[16].

بعد الوقوف على الروايات السابقة يتبين أنها متفقة على كثير من الأحداث ، ويزيد بعضها على بعض في شيء من التفاصيل ، ولكن وقع بينها اختلاف في بعضها ، هاك أهم هذه الاختلافات :

غالب الروايات ذكرت أن هجرة الحبشة وقعت قبل الحصار ؛ لأن تسلسل الأحداث بدأ بعجز قريش عن تأليب النجاشي على المسلمين ؛ فقررت قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما رفض قومه تسليمه وقرروا حمايته قاطعتهم قريش ، أما رواية[17] الزهري وأبي الأسود فذكرت أن النبي _صلى الله عليه وسلم _ أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعاهدت قريش على المقاطعة ، لكن أبا الأسود يوافق الجمهور عندما روى القصة عن عروة[18] .

ذكرت أغلب الروايات أن الذي كتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة ، لكن قال ابن هشام :"ويقال النضر بن الحارث، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشل بعض أصابعه"[19]، وقال الواقدي: "كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدري[20]" ، وقال ابن كثير : "والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق[21]، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها: انظروا إلى

عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1986م، (208/1) .

9 انظر، البيهقي، دلائل النبوة (191/2) .

10 انظر، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (9/1) ، البيهقي، دلائل النبوة (191/2).

11 انظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى (208/1) .

12 انظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى (208/1) .

13 انظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى (209/1) .

14 انظر، أبو نعيم، دلائل النبوة (239/1) .

15 انظر، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، طنطا، مصر.ط1، 1416هـ، 1995م، (366/1) وما بعدها .

16 انظر، أبو نعيم، دلائل النبوة (240/1) .

17 انظر، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (99/1) .

18 انظر، أبو نعيم، دلائل النبوة (399/1) .

19 ابن هشام، السيرة النبوية (366/1) .

20 انظر، ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (108/3) .

21 لكن ابن عبد البر ذكر أن موسى بن عقبة وابن إسحاق ذكرا أن كاتب الصحيفة هو هشام بن عمرو أول من مشى في نقض الصحيفة، انظر، ابن عبد البر، الدرر (109/1).

منصور بن عكرمة" .

المشهور أن الصحيفة علقت في جوف الكعبة ، وقد نصت أكثر الروايات على هذا ، ولكن قال بعضهم : " كانت عند أم الجلاس بنت مخرمة الحنظلية خالة أبي جهل[22] " ، وفي رواية الزبير[23] أنها كانت عند هشام بن عمرو أحد الذين سعوا في شق الصحيفة .

نصت غالب الروايات أن الأرضة أكلت ما تعاهد عليه الكفار من الظلم ، وبقي اسم الله ، لكن رواية عروة ذكرت أن الأرضة أبقت ما في الصحيفة من الشرك والظلم .

ركزت بعض الروايات على دور هشام بن عمرو ومن معه في نقض الصحيفة ، وركزت الروايات الأخرى على نبوءة النبي _ صلى الله عليه وسلم _ بشأن الأرضة ودور أبي طالب ، والراجح أن الحدثين متكاملان .

نصت غالب الروايات على أن ابتداء الحصار كان بداية محرم في العام السابع للبعثة ، وأنه استمر ثلاث سنين ، وانتهى في السنة العاشرة للبعثة ، ولم تشر روايات أخرى إلى التأريخ بدقة ، لكن رواية عن الزهري ذكرت أن مدة الحصار سنتان وأن رجوع مهاجرة الحبشة كان بعد الخروج من الشعب في السنة العاشرة، واعتمد الدكتور أكرم العمري عليها في تأريخ ابتداء الحصار أنه في آخر العام السابع للبعثة[24] . لكن ما عينته غالب الروايات أولى ؛ خاصة أن الزهري له قولان : أحدهما موافق لباقي الروايات ، والآخر مخالف ، وبما أنه لا مرجح من جهة الإسناد ، فالأخذ بما دلت عليه غالب الروايات أولى .

المطلب الثالث: نقد روايات خبر الصحيفة

خبر صحيفة المقاطعة من الأخبار المشهورة في السيرة النبوية ، ويلاحظ أن أئمة المغازي والسير يكثرون من ذكر أحداث السيرة من غير أسانيد ، وبلغ عدم الاعتداد بالإسناد أن أحد أساتذة المغازي قد يكون قد تلقى الخبر من شيخه بلا إسناد ، ثم يرويه التلميذ بحذف شيخه ، فيتحصل عندنا روايتان إحداهما عنه عن شيخه والأخرى من كلامه ، وخبر الصحيفة مثال حي على هذا .

ولعل شهرة الخبر ، ورواية العدد الكبير له ، وكونه معلوماً لأكثر الناس أغنى عن الاهتمام بإسناده ، ومن شواهد هذا أن من روى الخبر بالإسناد نجده يجمع الأسانيد ، ثم يسوق لفظاً واحداً بعد أن يقول : دخل حديث بعضهم في بعض[25]، فلا يهتم ببيان لفظ كل إسناد .

لكن كل هذا لا يسوغ لنا قبول روايات السيرة بلا إسناد أو نقد ، فلا بد من إخضاع الرواية للنقد الخارجي والداخلي طبقاً لموازين المحدثين في إثبات الأخبار .

وينبغي ضبط نقد روايات السيرة بضابطين مهمين :

الأول : مراعاة منهج المحدثين في التفريق بين الروايات التي يراد استنباط الأحكام الشرعية منها فيتشدد في نقدها ، وبين الروايات التي لا مدخل للأحكام الشرعية فيها كالقصص والفضائل فيتساهل فيها .

الثاني : التفريق بين الرواة المعتمدين في الحديث وأولئك المعتمدين في التاريخ ، فقد يكون أحدهم عمدة في السيرة والمغازي ضعيفاً في الحديث كالواقدي وغيره ، ومرجع هذا إلى تخصص الراوي ، فقد يوجه اهتمامه إلى جانب معين فيبرّز فيه ، لكنه يؤثر على ضبطه في الجوانب الأخرى ؛ فلا يكون عمدة فيه ، وهذا عام في كل العلوم ، وليس في السيرة فقط ، ومن أبرز الأمثلة حفص بن سليمان المقرئ راوية عاصم بن أبي النجود ، وهي الرواية التي يقرأ بها جل المسلمين اليوم ، فقد غلب عليه تخصصه في القرآن فصار

---

[22] ابن سعد، الطبقات الكبرى (209/1) .

[23] انظر، أبو نعيم، دلائل النبوة (239/1) .

[24] انظر، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 6، 1426هـ، 2005م (182/1).

[25] انظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى (1/ 209) .

حجة فيه ، لكنه في الحديث ضعيف جداً ، قال فيه ابـن حجر : " متروك الحديث مع إمامته في القراءة[26] " .

أما خبر صحيفة المقاطعة ، فالكلام عليه في مسألتين :

المسألة الأولى

نقد أسانيد الروايات المرسلة ، ومعرفة مدى تقوية بعضها لبعض

قال الدكتور أكرم ضياء العمري[27] : قد ورد الخبر مفصلاً من مرسل أبي الأسود ومرسل الزهري بإسناد حسن في الدرر ودلائل البيهقي ، كما ورد من مرسل عروة بن الزبير بإسناد ضعيف إليه فيه محمد بن عمرو بن خالد الحراني ، لم أقف له على ترجمة ، وابن لهيعة ضعيف ، والخبر في دلائل أبي نعيم والبيهقي . ونظراً لأن الزهري وأبا الأسود من تلاميذ عروة، فإن احتمالاً قوياً أنهما يرويان هذا الخبر عنه؛ مما يجعل المرسل لا يقوى بالتعدد لوحدة مخرجه ا.هـ .

قلت : وفي التعليق على هذه الإفادة عدة نقاط :

الأولى : قد تبين أن لخبر الصحيفة روايات أخرى غير هذه المراسيل الثلاثة .

الثانية : دراسة مدى ثبوت هذه الروايات ، وهي :

مرسل الأسود رواه عنه ابن لهيعة ، لكنه من رواية ابن وهب عنه ، قال ابن حجر[28] : "ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما".

أما مرسل الزهري ، فأخرجه في الدرر من طريقين عن محمد بن فليح[29] عن موسى ابن عقبة عنه ، وأخرج ابن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وخالف الواقدي غيره في زيادة أبي بكر بن عبد الرحمن في الإسناد .

ومرسل عروة فكما قال .

مرسل موس بن عقبة ، لم أقف على ترجمة ثلاثة من رجاله .

رواية ابن عباس ، فيها أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، قال البخاري[30] : مدني

ضعيف ، وقال النسائي[31] : متروك الحديث .

مرسل عاصم بن عمر بن قتادة ، رواه عنه معاذ بن محمد الأنصاري ، قال العقيلـي[32] : في حديثه وهم ، وقال ابن عدي[33] : منكر الحديث .

---

26 ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت (226/1) .

27 انظر، الدكتور أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (181/1) .

28 ابن حجر، تقريب التهذيب (526/1) .

29 صدوق يهم من رجال البخاري، انظر، ابن حجر، التقريب (125/2) .

30 انظر، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، 1986م، (9/9) .

31 انظر، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب النسائي، الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1406 هـ - 1986 م، (255/1) .

32 انظر، محمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار الكتاب العربي، بيروت (132/4) .

33 انظر، عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، ط 3، (432/6) .

مرسل عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم عن أبيه ، أما عبد الله فقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال[34] : "روى عنه أهل الحجاز" ، وأما أبوه عثمان فقال ابن حجر في التقريب[35] : " ثقة " .

مرسل عكرمة ومحمد بن علي وشيخ من أهل مكة ، أخرجها ابن سعد عن عبيد الله ابن موسى عن إسرائيل عن زياد بن فياض وجابر بن زيد ، وهو إسناد مسلسل بالثقات[36] .

أما رواية ابن عباس ، فهي تؤرخ موقف أبي لهب من المقاطعة ، أخرجها أبو نعيم قال : " أخبرنا محمد بن الحسن قال : ثنا الحسن بن الجهم قال : ثنا الحسين ابن الفرج قال : ثنا محمد بن عمر الواقدي قال : حدثني خارجة بن عبد الله ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس" ، الرواية محفوظة بالإرسال من غير طريق الواقدي وليس فيها ابن عباس ، وإسناد الواقدي فيه رواية داود بن الحصين عن عكرمة ، وداود ثقة إلا في عكرمة فروايته منكرة[37] ، وخارجة بن عبد الله صدوق له أوهام[38] ؛ فزيادة ابن عباس معلولة .

النقطة الثالثة : يتبين من هذه الدراسة أنه يسلم لنا إضافة إلى روايتي أبي الأسود والزهري ـ يسلم لنا مرسل عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير ابن مطعم عن أبيه ، ومرسل عكرمة ومحمد بن على ورواية جابر بن زيد المرسلة عن شيخ من أهل مكة ؛ فيتبين أنه من المحتمل جداً اختلاف مخارج المراسيل الثابتة ؛ مما يجعلها صالحة ليقوي بعضها بعضاً .

المسألة الثانية

ما ثبت إسناده مما له علاقة بخبر الصحيفة

أخرج البخاري[39] ومسلم[40] وأحمد[41] وابن خزيمة[42] والبيهقي[43] من طرق عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة _ رضي الله عنه _ قال : قال النبي _ صلى الله عليه وسلم من الغد يوم النحر وهو بمنى _ : " نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر" ، يعني ذلك المحصب وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أو بني المطلب أن لا

34 ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، الثقات، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط 1، 1393 هـ، 1973م، (26/7) .

35 ابن حجر، تقريب التهذيب (659/1) .

36 انظر، ابن حجر، التقريب (1/ 88،322، 640) .

37 انظر، ابن حجر، التقريب (278/1) .

38 انظر، ابن حجر، التقريب (254/1) .

39 انظر، البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، مطبوع مع فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان ، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1986م، كتاب الحج ، باب نزول النبي _ صلى الله عليه وسلم _ مكة .

40 انظر، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الصحيح، تحقيق الشيخ خليل شيحا، مطبوع مع شرح النووي، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1418هـ، 1997م، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر.

41 انظر، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م، مسند أبي هريرة (483/14) رقم (6942) ، (90/22) رقم (10546).

42 انظر، ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الصحيح، تحقيق د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ، 1970م، كتاب المناسك، جماع أبواب ذكر أفعال اختلف الناس في إباحتها للمحرم.

43 انظر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر أباد الدكن، ط1، 1344هـ، كتاب الحج، باب الصلاة بالمحصب والنزول بها (160/5) .

يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم .

والحديث مروي من غير طريق الأوزاعي دون قوله : " يعني ذلك المحصب ..." ، أخرجه البخاري[44] ومسلم[45] وأحمد[46] وغيرهم ، والحديث محفوظ عن الزهري هكذا وهكذا .

وهو ثابت من حديث أسامة بن زيد بالزيادة ، أخرجه البخاري[47] وأبو داود[48] وابن ماجه[49] وأحمد[50] وغيرهم .

قلت : يبدو أن التصريح بحادثة المقاطعة من كلام الزهري فهو مدار الحديث ؛ فعاد الحديث مرسلاً بسند صحيح ، والجزء المرفوع يشير إلى وقوع حادثة المقاطعة عندما تعاهد الكفار على حصار من قام دون قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

قال ابن حجر[51] : " ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقولــه في الحديث " تقاسموا على الكفر " .

والخلاصة أن أصل وقوع حادثة المقاطعة ثابت بالسند الصحيح من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، أما تفاصيلها فيقبل ما اتفقت عليه أكثر الروايات المرسلة التي صح إسنادها .

المطلب الرابع: عبر وبصائر مستفادة من خبر المقاطعة

أحداث السيرة النبوية ليست صفحات طويت وانتهت ، إنما هي مدرسة للدعاة والمجددين ، يتعلمون فيها كيف يحملون الدعوة ويعبرون بها إلى بر الأمان ، وقد استنطق الدكتور محمد الصلابي أحداث السيرة في كتابه عن السيرة النبوية[52]، أسجل هنا بلغتي أهم النقاط التي ذكرها إضافة إلى فوائد أخرى.

تعد هذه الحادثة دليلاً على وجود التوثيق بالكتابة عند العرب في وقت مبكر .

على الداعية أن يحسن استثمار كل ما من شأنه خدمة الإسلام في مواجهة خصومه ؛ كالمفاهيم الجاهلية وقوانينها ؛ مثل الجوار والعصبية القبلية ، فالإسلام رغم أنه يرفض التعصب القبلي _ مثلاً _ إلا أنه يستفيد منه في حماية الدعاة من خصومهم ، أو استثمارها في حشد غير المسلمين لصالح الإسلام . ولو تأملنا في

---

44 انظر، البخاري، الصحيح، كتاب الحج، باب نزول النبي _ صلى الله عليه وسلم _ مكة، وله طرق في مواضع أخرى .

45 انظر، مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر .

46 انظر، أحمد بن حنبل ، المسند، مسند أبي هريرة (305/15) رقم (7264)، وله طرق في مواضع أخرى .

47 انظر، البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم فيدار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم .

48 انظر، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، كتاب المناسك، باب التحصيب .

49 انظر، ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، كتاب المناسك، باب دخول مكة .

50 انظر، أحمد بن حنبل ، المسند، مسند الأنصار ،حديث أسامة بن زيد (44/ 241) رقم (20771) .

51 ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1986م، (207/11) .

52 انظر، الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط7، 1429هـ، 2008م، ص (184).

قوانين الجاهلية المعاصرة لوجدنا فيها منافذ يمكن أن نجيرها لصالحنا ، فنحشد غيرنا لنصرة قضايانا ، ولكن ليس على حساب الثوابت الشرعية ، ضمن ضوابط فقه التحالف السياسي في الإسلام .

يخطئ من يظن أن الجاهلية يمكن أن تتصالح مع الإسلام وتفسح له الطريق ليكون المهيمن على مقاليد الأمور ، فإذا شعرت الجاهلية أنها أوشكت على الخسارة ، وأن الإسلام يوشك على الانتصار ، فسوف تكفر بجميع مبادئها ، وترتكب أشنع الأفعال ؛ لتحول دون ذلك ، فهذي قريش قد تنكرت لجميع الفضائل والمروءة والنجدة والقرابة المقدسة من أجل رجل واحد . وهذه الجاهلية المعاصرة تقدس "الديمقراطية" وتهتف بحياتها ، لكنها تكفر بها وتتنكر لها وتلجأ إلى "دكتاتورية العسكر" إذا جاء الإسلام ممتطياً صهوتها ، كما حدث في الجزائر وغيرها ، ولم يتذكر العالم أن في الصومال فقراً وجوعاً وأوبئةً فتاكة وحروباً تأكل الأخضر واليابس منذ خمسة عشر عاماً ـ لم تؤنبهم ضمائرهم إلا عندما بدأ الإسلام يحكم ويصلح ما أفسدوه .

غالب الذين يقودون ركب الجاهلية يفعلون هذا حرصا على مصالحهم وشهواتهم الرخيصة ، وليس من أجل المبدأ أو عن اعتقاد ببطلان الإسلام وصواب جاهليتهم ؛ لذلك فهم معاندون ، ولن يرعووا عن غيهم ولو جاءت الحجج القاطعة تترى ، فمن العبث استخدام سلاح الحجة مع المعاند ، فمن لا يستسلم للحق يستسلم للقوة .

إن الذي يحمل هم الإسلام ينبغي أن يوطن نفسه على تحمل مشاق الطريق ، فعلى الدعاة أن يربوا أنفسهم وأتباعهم على الصبر، فهذا الطريق لا يثبت فيه إلا من صبر وصابر واحتمل الكريهات في سبيل الفوز بالجنات .

" ولكنكم تستعجلون " داء دب في النفوس من أثر طول المسير ووعورة الطريق ، فحذار من استعجال الشيء قبل أوانه ؛ كي لا نعاقب بحرمانه ، وطول الابتلاء مبشر بانبلاج الفجر .

الالتزام التام والانضباط الكامل بالخط العام رغم المهيجات والابتلاءات ، والبعد عن الأعمال الفردية العاطفية، وهذا يكفل أن ترسو مركبة الدعوة على شاطئ النصر.

الخاتمــة

بعد هذه الجولة يمكن تسجيل أهم النتائج التالية :

روي خبر المقاطعة بثماني روايات مرسلة ، ورواية عن ابن عباس .

صح من هذه الروايات خمسة مراسيل ، والراجح أن مخارجها مختلفة ؛ فتتقوى ببعضها .

ثبت من كلام النبي _ صلى الله عليه وسلم _ أصل حادثة المقاطعة ، أما تفاصيلها فيمكن قبول ما اتفقت عليه أكثر الروايات المرسلة بسبب تعدد مخارجها .

اختلفت الروايات في بعض التفاصيل ولعل سببه العلل التي لم تسلم منها الأسانيد من ضعف في الحفظ وانقطاع في السند .

ينبغي الاهتمام باستبصار أحداث السيرة النبوية للاستفادة من دروسها في تقويم مسيرة العمل الإسلامي المعاصر .

فهرس المراجع

أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م.

أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 6 ، 1426هـ ، 2005م .

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، مطبوع مع فتح الباري، تحقيق محب الدين

الخطيب، دار الريان، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1986م، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، 1986م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1405هـ، 1985م. السنن الكبرى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر أباد الدكن، ط1، 1344هـ.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، الثقات، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط 1، 1393 هـ، 1973م.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1986م. تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الصحيح، تحقيق د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ، 1970م.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

ابن سعد، أبوعبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، 1986م.

الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط7، 1429هـ، 2008م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق عادل مرشد، دار الأعلام، عمان،ط1، 1423هـ، 2002م. الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، ط 3.

ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الصحيح، تحقيق الشيخ خليل شيحا، مطبوع مع شرح النووي، دار المعرفة، بيروت، ط4 ، 1418هـ ، 1997م .

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي شعيب النسائي، الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1406 هـ 1986 م.

أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، دلائل النبوة، تحقيق محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط1، 1409هـ.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، طنطا، مصر.ط1، 1416هـ، 1995م.